المحاضرة الرابعة: ***الأمـــراض والأوبئـة***

الوضع الصحي في الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي:

منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين الجزائر أولوا عناية كبيرة للميدان الصحي، وذلك لضمان صحة جيوشهم، ويظهر هذا من خلال إنشاء العديد من الهياكل الصحية المتمثلة في المستشفيات والمستوصفات ومراكز الاسعاف والمراكز الخيرية وزودتها بكل المستلزمات والمعدات الطبية وما إلى ذلك من الإطارات الطبية.

وعلى الرغم من ان بعض الأمراض قد اختفت نهائيا (والتي كانت سائدة خلال العهد العثماني)، فإن الجزائر عانت من ظهور مرض جديد لم يكون معروفا من قبل ألا هو مرض "الكوليرا Cholera" الذي أصبح يشكل آفة انتشرت على مستوى بلدان البحر المتوسط، كان منبعه القارة الأسيوية خاصة الهند، وقد اعتبره الكثير أخطر من وباء الطاعون المرعب La Peste. وعلى غرار مدينة الجزائر، ظهر وباء الكوليرا بوهران بتاريخ ماي 1831م، إذ بعث العقيد "أسوفيك Assouvic" وهو رئيس المجلس الصحي لمدينة وهران رسالة لأعضاء الإدارة الصحية لمارسيليا جاء فيها ما يلي: " *إن مجلس الصحة العمومية لوهران كلفني بإرسالكم نسخة من المراسلة الذي يعثها لي الجنرال" بواير Boyer" حاكم مقاطعة وهران لاتخاذ إجراءات صحية جديدة فيما يتعلق بوباء الكوليرا الذي اجتاح مصر، فقد قررنا عدم السماح بإرساء السفن القادمة من المنطقة المعدية، كما علمنا أن الحجر الصحي (Quarantaine) المفروض في ميناء ليفورن (Livourne) بإيطاليا تم تجديده بمدة 80 يوما* "، لتفادي العدوى.

ومع ذلك فقد أخذ مرض الكوليرا و"التيفوس Typhus" مكان الطاعون كظاهرة وبائية جديدة في شمال افريقيا رغم أنه لم يتسبب في تراجع ديمغرافي بقدر ما تسبب فيه وباء الطاعون في العهد العثماني.

ومن الإجراءات الطارئة التي واجهت بها الإدارة الفرنسية واللجان الصحية وباء الكوليرا ما يلي:

- كل السفن القادمة من موانئ المشرق مجبرة على تقديم شهادة صحية تدل على خلو السفينة من المرض.
- تطبيق اجراءات احترازية على السفن المشكوك فيها صحيا، ووضع ركابها في المحاجر الصحية.

وما زرد الوضع الصحي تدهورا هو نقص الأدوية ورداءة العناية الصحية بالنسبة لمناطق عديدة من البلاد، إذ تشير التقارير الصحية الى قلة العلاج...ويكفي الحديث عن طبيعة المنظومة الصحية أنها كانت كارثية، حبق جاء في تقارير العسكريين فيما بين 1830– 1850 ان الجيش الفرنسي يكون قد فقد ما يربو من 50 ألف جمدي جراء هذه المراض المستعصية، ناهيك عن فئة الكولون التي عانت كثيرا هي الأخرى من هذه الأوضاع الخاصة في السنوات الأولى للاحتلال.

وتذكر الوثائق الفرنسية أن الجيش الفرنسي وجد نفسه ملزما منذ الوهلة الأولى بإعادة تهيئة الوسط الصحي بالجزائر من خلال بناء مستشفيات ومراكز علاجية، خاصة التي خصصت لمحاربة الأوبئة والأمراض المستعصية، ناهيك عن فئة الكولون التي عانت كثيرا هي الأخرى من هذه الوضع خاصة في السنوات الأولى من الاحتلال.

وتذكر الوثائق الفرنسية أن الجيش الفرنسي وجد نفسه ملزما منذ الوهلة الأولى بإعادة تهيئة الوسط الصحي بالجزائر، من خلال بناء مستشفيات ومراكز علاجية وخاصة منها التي خصصت لمحاربة الأوبئة والأمراض المستعصية، بناء على مراسيم وقوانين مكملة.

وقد ظلت الخدمات والمنشآت الصحية حكرا على المستوطنين، ليس فقط في مدينة الجزائر بل في كامل القطر الجزائري، على الرغم من عدد المراكز الذي كان آخذا في التزايد يوميا، فالخدمات التي كانت تقدمها بالنسبة للجزائريين كانت متدنية، لقول أحد الأطباء المستوطنين واصفا أوضاع مدينة الجزائر الكارثية: "*لقد زرنا مؤخرا مستشفيين يبعدان عن العاصمة، الأول بـ 200 كلم والثاني بـ 300 كلم كلاهما يقدمان خدمات لحوالي 100.000 ساكن، يحتوي الأول على 120 مكان والثاني 70 مكان، مبانيهما جد قديمة وآيلة للسقوط، ويوجد طبيب فقط يمر كل يومين، ولا يوجد جهاز للأشعة، ثم أن السكان هنا يتعذر عليهم الذهاب الى المدن للقيام بفحوصات، كما لا يوجد جراحون، هذا الى جانب وضعية الهياكل المادية الجد مزرية خاصة الأكل والأثاث*".

والاحصائيات التالية تبين انتشار الأوبئة والأمراض خلال فترة الاحتلال الفرنسي:

انتشار وباء الجدري في الجزائر ما بين 1832– 1855.

السنـــة	المكـــان
1832	مدينة الجزائر
1838 – 1839	ضواحي جيجل – مدينة الجزائر
1840	قسنطينة
1646	ندرومة – المدية
1847 – 1848	تنس– شرشال– سطيف– بسكرة– قسنطينة– تلمسان– باتنة– القالة– سكيكدة– تيارت– قالمة
1849–1850–1855	ندرومة – سيدي بلعباس– مستغانم – تنس– البليدة– تلمسان

انتشار وباء التيفوس في الجزائر ما بين 1842 –1919.

السنـــة	المكـــان
1842	وهران – تلمسان
1861	صدوق (منطقة القبائل)
1862	بجاية وضواحيها
1863	قسنطينة
1866	ضواحي قسنطينة
1868	مدينة الجزائر وضواحيها– وهران
1894	باتنة– بجاية– مدينة الجزائر– قسنطينة
1908	قسنطينة – الأغواط
1918– 1919	سوق اهراس– تيارت – وهران

انتشار وباء الكوليرا في الجزائر ما بين 1834– 1867.

السنـــة	المكـــان
1834	مرسى الكبير– وهران– تلمسان– مدينة الجزائر– مستغانم– معسكر– مليانة– المدية.
1835	مدينة الجزائر– عنابة– البليدة– مليانة– قسنطينة.
1837	عنابة– قسنطينة– مدينة الجزائر– مليانة– الأصنام (الشلف حاليا)– منطقة الونشريس.
1849	تنس– شرشال– مستغانم– سطيف– باتنة– بوسعادة– بسكرة.
1850– 1851	بسكرة – قالمة– سطيف– جرجرة– مدينة الجزائر– ارزيو– سيدي بلعباس– معسكر– عين تيموشنت– مستغانم.
1854– 1855	سطيف– قسنطينة– مدينة الجزائر.
1859–1960	وهران– مدينة الجزائر– الأصنام.
1865– 1867	مدينة الجزائر– تيزي وزو– بني يني– تنس– بسكرة.